استماعه ﷺ إلى حديث الزوجات

بالمِلَح والفُكاهات تأنيساً لهن وملاطفة

(حديث أمّ زَرْع)

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(سيدنا محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم)
من الصفحة ١٩٦ حتى الصفحة ٢٠٣

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

استماعه ﷺ إلى حديث الزوجات بالملح والفكاهات تأنيساً لهن وملاطفة

روى الشيخان والترمذي ـ واللفظ له ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : جلستْ إحدى عشْرة امرأة فتعاهدْنَ وتعاقَدْنَ أن لا يكتُمنَ من أخبار أزواجهنَّ شيئاً[1] .

فقالت الأولى : زوجي لحم جملٍ غَثٍّ ، على رأس جبل وعر ، لا سهل فيُرتقى ، ولا سمين فَيُنْتَقَل[2] .

قالت الثانية : زوجي لا أَبُثُّ خبرَه ، إني أخافُ أن لا أذَرَه ، إنْ أَذكرْه أَذكرْ عُجَرَه وبُجَرَه[3] .

---

(١) أي : على أن لا يخفين شيئاً من أخبار أزواجهن : مدحاً أو ذماً ، بل يذكرن جميع ذلك .

(٢) تعني : أنها تشبه زوجها في ردائته بلحم جمل غث ـ أي : شديد الهزال ـ كائن على رأس جبل وعر ـ أي : صعب الوصول إليه ـ والمقصود : أن زوجها متكبر سيء الخلق ، لا يوصل إليه إلا بمشقة ، ولا ينفع زوجته في عشرة ولا في غيرها .

(٣) أي : لا أنشر ولا أظهر خبره ـ ثم عللت ذلك بقولها : إني أخاف أن لا أذره ـ أي : إني أخاف أن لا أتركه ـ يعني : أنها تخاف من ذكره أن يطلقها ، =

قالت الثالثة : زوجي العَشَنَّق [1] ، إنْ أَنطِقْ أُطَلَّقْ ، وإنْ أَسكُتْ أُعلَّق .

قالت الرابعة : زوجي كليل تِهامة [2] ، لا حَرَّ ولا قَرَّ ، ولا مخافة ولا سآمة .

قالت الخامسة : زوجي إنْ دخلَ فَهِد ، وإنْ خرج أَسِد ، وَلا يَسأَلُ عمَّا عهِد [3] .

قالت السادسة : زوجي إن أَكلَ لَفَّ ، وإن شربَ اشتفَّ ، وإن اضطجع التفَّ ، ولا يولجُ الكَفَّ ليعلم البثَّ [4] .

قالت السابعة : زوجي عَياياء [5] ـ أو غياياء ـ طباقاء ، كلُّ داءٍ له

= ويترتب على ذلك الشقاق والفراق ، وضياع الأطفال ، وقيل : المعنى إني أخاف أن لا أذره بعد الشروع في خبره ، والمراد بالعجر والبجر : عيوبه الظاهرة والخفية .

(١) هو السيء الخلق ، السفيه .

(٢) تهامة : هي مكة المكرمة وما حولها من الأغوار ، والمقصود من هذا التشبيه أن تصف زوجها بكمال الاعتدال في أموره ، وسهولة أخلاقه ـ كما في (حاشية البيجوري) .

(٣) تعني أنه كالأسد في الحروب ، في قوته وشجاعته ، ولا يسأل عما عهد ـ أي : عما علم في بيته من الطعام والشراب وغيرهما ؛ لجوده وكرمه (انظر حاشية البيجوري) .

(٤) أي : إن أكل أو شرب لم يبق بقية لعياله ، ولا يتفقد حال أهله إذا مرضن أو اشتكين ـ وقيل غير ذلك . كما في (حاشية البيجوري) .

(٥) عياياء : أي : عاجز عن إحكام أموره وتدبيرها ، غياياء : ذو ضلالة وغي ، طباقاء : أحمق ، إذا اجتمعت عليه الأمور ، فلا يهتدي لها .

داء ، شجَّكِ أو فلَّك ، أو جمع كلا لك [١] .

قالت الثامنة : زوجي المسُّ مسُّ أرنب ، والريح ريحُ زَرْنَب [٢]

قالت التاسعة : زوجي رفيعُ العماد [٣] ، طويلُ النِّجاد [٤] ، عظيمُ الرماد [٥] ، قريبُ البيتِ من الناد [٦] .

قالت العاشرة : زوجي مالكٌ ، وما مالك ؟ مالك خير من ذلك : له إبل كثيرات المبارك ، قليلات المسارح ، إذا سمعنَ صوتَ المِزْهَر ، أَيْقَنَّ أَنهنَّ هوالك [٧] .

قالت الحادية عشرة : زوجي أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ أَناسَ من

---

(١) أي : إن ضربك جرحك ، أو فلك : أي : كسرك ، أو جمعهما لك .

(٢) فهي تمدحه بأن مسه كمس الأرنب في اللين والنعومة ، وبأنه طيب الرائحة كريح الزرنب : وهو نوع نبات رائحته طيبة .

(٣) كناية عن علو حسبه وشرف نسبه .

(٤) تصفه بطول القامة ، والنجاد : حمائل السيف ، فالطويل يحتاج إلى طول حمائل سيفه ـ والعرب تمدح بذلك .

(٥) تصفه بالجود ، وكثرة الضيافة من اللحوم والخبز ، فيكثر وقوده فيكثر رماده .

(٦) النادي والندي : مجلس القوم ، فهي تصف زوجها بالكرم ، لأنه لا يقرب البيت من النادي إلا من صفته الكرم ، كما في شرح النووي .

(٧) تعني أن له إبلا كثيراً ، فهي باركة بفنائه ، لا يوجهها تسرح إلا قليلا قدر الضرورة ، فإذا نزل به الضيفان كانت الإبل حاضرة ، فيقريهم من ألبانها ولحومها ، ويضرب لهم المزهر والمعازف ، فإذا سمعت الإبل أصوات المزهر علمت أنه قد جاءه الضيفان وأنهن منحورات هوالك . اهـ من شرح النووي .

حُليّ أُذُنيَّ [1] ، وملأ من شحمٍ عضديَّ [2] ، وبجَّحني فَبَجِحتْ إليَّ نفسي [3] ، وجدني في أهل غُنيمَةٍ بِشَقٍّ ، فجعلني في أهل صهيل وأطيط ، ودائس ومُنَقٍّ [4] ، فعنده أقول فلا أُقَبَّح ، وأرقد فأتصبَّح ، وأشربُ فأتقمَّح [5] .

أمُّ أبي زرع ، فما أم أبي زرع ؟ عكومها ردَاح [6] ، وبيتُها فَساح .

ابنُ أبي زرع ، فما ابن أبي زرع ؟ مَضجَعه كمَسلِّ شطْبة ، وتُشبعه ذراع الجَفْرة [7] .

---

(١) قال الإمام النووي : ومعناه حلاني قرطة وشنوفاً ، فهي تنوس ـ أي : تتحرك ـ لكثرتها .

(٢) المعنى : أنها سمنت عنده وامتلأت شحماً .

(٣) أي : فرحني ففرحت ، وعظمني فعظمت عندي نفسي .

(٤) الصهيل : صوت الخيل ، والأطيط : صوت الإبل ، والمعنى : أنه وجدها في أهل غنم قليلة ، فهم في ضيق عيش ، فحملها إلى أهل خيل وإبل وبقر ، تدوس الزرع في بيدره لتخرج الحب من السنبل . ومنق : بفتح النون وتشديد القاف ، وهو الذي ينقي الحب وينظفه من التبن بعد الدوس ، وروي منِق بكسر النون من نقت الدجاجة إذا صوتت ـ كما في (حاشية البيجوري على الشمائل) .

(٥) والمعنى : تشرب حتى تروى ، وتدع الشراب من شدة الري .

(٦) العكوم : الأعدال ، جمع عكم ، والرداح : العظيمة ـ والمعنى : أن أعدالها وأوعية طعامها عظيمة ثقيلة .

(٧) قال الإمام النووي : الجفرة بفتح الجيم ، الأنثى من أولاد المعز ، وقيل من الضأن ، وهي ما بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها ، والمراد : أنه قليل الأكل ـ والعرب تمدح به . اهـ .

بنت أبي زرع ، فما بنتُ أبي زرع ؟ طوع أبيها وطوع أُمِّهَا ، وملء كسائهَا ، وغيظ جارتها .

جارية أبي زرع ، فما جارية أبي زرع ؟ لا تبثُّ حديثنا تبثيثاً[1] ، ولا تَنْقُثُ ميرتنا[2] تنقيثاً ، ولا تملأُ بيتنا تعشيشاً[3] .

قالت أم زرع : خرج أبو زرع والأوطاب تُمْخَض[4] ، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفَهْدين ، يلعبان من تحت خَصْرها برمانتين ، فطلَّقني ونكحها .

فنكحتُ بعده رجلاً سَرِيّاً[5] ، ركب شَرِيّاً[6] ، وأخذ خَطّيّاً[7] ، وأراح عليَّ نِعَماً ثريّاً[8] ، وأعطاني من كل رائحة زوجاً[9] ، وقال : كلي أُمَّ زرعٍ ، وميري أهلكِ ، فلو جمعتُ كلَّ شيءٍ أَعطانيه ما بَلَغَ أَصغرَ آنية أبي زرعٍ .

---

(١) أي : لا تشيع حديثنا ، بل تكتم سرّنا وحديثنا كله .

(٢) الميرة هي الطعام المجلوب ـ ومعناه : لا تفسد وتفرقه ، ولا تذهب به فهي أمينة .

(٣) والمعنى : أنها مصلحة للبيت معتنية بتنظيفه .

(٤) الأوطاب : أسقية اللبن ، وتمخض : تحرك لاستخراج الزبد من اللبن .

(٥) أي : من سراة الناس وأشرافهم .

(٦) أي : فرساً يستشري في سيره ، ويمضي بلا فتور .

(٧) الخطي : الرمح .

(٨) أي : كثيرة ، من : الثروة في المال ، وهي كثرته .

(٩) أي : من كل ما يروح من الإبل والبقر والغنم ، أعطاها زوجاً : أي : اثنين ، أو صنفاً كثيراً .

قالت عائشة رضي الله عنها : فقال رسول الله ﷺ : « كنتُ لكِ كأبي زرعٍ لأم زرعٍ » .

وجاء في رواية الهيثم بن عدي : « كنتُ لكِ كأبي زرعٍ لأم زرعٍ ، في الألفة والوفاء ؛ لا في الفرقة والجلاء » .

وزاد الطبراني في روايته : « إلاَّ أنه طلَّقها ، وإني لا أُطَلِّقُكِ » .

وزاد النسائي والطبراني : قالت عائشة رضي الله عنها : (يا رسول الله ﷺ بل أنتَ خيرٌ من أبي زرعٍ) .

وفي رواية النسائي : أنه ﷺ هو الذي ابتدأ الحديث ، فقال لعائشة رضي الله عنها : « كنتُ لكِ كأبي زرعٍ لأمِّ زرعٍ » .

فقالت رضي الله عنها : بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله ، وَمَن كانَ أبو زرعٍ ؟

فقال ﷺ : « اجتمع نساء . . . » إلى تمام الحديث .

فانظر يا أخي في حسن عِشْرته ﷺ ، وكريمِ خُلُقه مع أهله ، حيث أصغى إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، وهي تحدثه عن قصةٍ وقعت في الجاهلية ، من نساءٍ اجتمعْن وتعاقدْن على أن تخبر كلُّ واحدةٍ منهنَّ عن مواقف زوجِها معها ، من حيثُ الأخلاقُ والمعاملةُ والمعاشرة! .

وقد قال العلماءُ : يؤخذ من هذا الحديث :

١ ـ ندب حسن المعاشرة للأهل .

٢ ـ وحِلُّ السمر في خيرٍ ، كملاطفة زوجته ، وإيناس ضيفهَ .

٣ ـ وجواز ذكر المجهول عند المتكلم والسامع بما يكره ـ فإنه ليس

غيبة ، وغاية الأمر أنَّ عائشة رضي الله عنها ذكرت نساء مجهولات ، ذكر بعضهنَّ عيوبَ أزواج مجهولين ، لا يُعرفون بأعيانهم ، ولا بأسمائهم ، ومثل هذا لا يعدُّ غيبة ـ كما أوضح ذلك الإمام النووي في شرحِه .

وفي (التراتيب الإدارية) : أخذ الأئمة من هذا الحديث جواز التحدُّث عن الأمم الماضية ، والأجيال البائدة ؛ وضرب الأمثال بهم ، لأنَّ في سيرهم اعتباراً للمعتبر ، واستبصاراً للمستبصر ، واستخراجَ الفائدة للباحث المستكثر ، فإنَّ في هذا الحديث خصوصاً إذا حُدِّث به النساء منفعةً في الحضِّ على الوفاء للبعولة .

قال القاضي عياض : وفيه ـ أي : في هذا الحديث ـ من الفقه : التحدُّثُ بملح الأخبار ، وطُرَف الحكايات ، تسليةً للنفس[1] ، وجلاءً للقلب .

وهكذا ترجم أبو عيسى الترمذي عليه :

باب ما جاء في كلام رسول الله ﷺ في السمر .

ثمَّ قال ـ عياض ـ :

ويُروى عن أمير المؤمنين علي كرَّم الله وجهه أنه قال : (سلُّوا هذه النفوس ساعةً بعد ساعة ، فإنها تصدأُ كما يصدأُ الحديد) .

وقال أيضاً : (القلب إذا أُكره عَمِيَ)

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول : (حَمِّضوا ـ أي : إذا مللتم من الفقه فخذوا في الأشعار ، وأخبار العرب) .

---

(١) كما دل عليه هذا الحديث من تسلية نفس السيدة عائشة رضي الله عنها .

قال : وهذا كله ما لم يكن دائماً متصلاً ، وأما أن يكون ذلك عادةَ الرجل حتى يُعرَفَ به ، ويتخذه دَيْدَناً ويُضحكَ به الناس فهذا مذموم غير محمودٍ شرعاً .

قال : وللاهتمام بفوائد هذا الحديث وكثرة ما استنبط منه ، أفرده بالتصنيف كثير من العلماء المتقدمين ، ثمَّ ذكر أسماءهم . اهـ باختصار .